معرض الفنانة منى طراد دبغي

المرأة في مناخات شرقية مسحورة

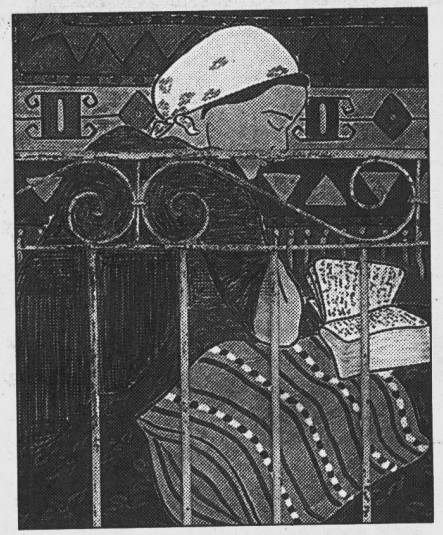

□ من المعرض □

– ١ –

احدى وثلاثون لوحة فنية بالزيت على القماش والخشب داخل نوافذ تراثية أربع عشرة لوحة عادية. والباقي نطلق عليها إنشاءات أو انجازات. لكنها في كل الأحوال تندرج ضمن الرؤيا الجمالية للفنانة في المرأة مكسوة وعارية. وفي زمنها المفرد المتوحد، أو زمنها الاجتماعي مع قريناتها أو مثيلاتها. كل ذلك وكأن الفنانة دخلت في جواءات شرقية من ألف ليلة وليلة، وخرجت بهذه اللوحات الجميلة ليس على صعيد الكائن البشري الذي فيها. ولا الأنوثة المتدفقة من الأجساد العارية للنساء فنياً وجمالياً ونفسياً. لكن من الفضاء الزخرفي الذي تصيغه حولها تشيده وتبنيه من البسط والسجاد والألبسة والأدوات. القهوة، النرجيلة الكتاب، وغير ذلك مما تعتمده في فضاءات نصوصها التشكيلية، التي وان كانت تحيل الى مرجعية ماتيسية في مناخاتها العامة. لجهة الأنوثة والزخرفة، الا أن للفنانة شخصيتها الفنية التي تتقدم بها في هذه الأعمال، ولها اسلوبها الفني المفارق لمرجعيته، والمرتبط بداخلها وتراثها، ومرئياتها ومراياها، كإمرأة تختبر ما ترسم. كما تختبر الحياة. ربما من الأم والجدة، وغيرهما من النسوة اللواتي تعرف حيواتهن التراثية. فيروح الحنين يشدها الى ايقاظ ذلك كله وبعثه في لوحاته حميمة محتدمة، بهيجة، صافية الألوان، ومشرقة اشراقية معاً..!

ولو أن الفنانة في مغامرتها التشكيلية تلك، تترك لروحها العنان، ولعينها الطفلة البريئة الفانتازية، أن ترى وتقتطف المرئيات. وتلونها، وتتلون بها، إلا أنها تضبط يدها وجسدها، وتدخل تجربتها حيز الاختبار والاختيار، وتوليف العناصر. وابتكار الألوان، وتحويل الزخارف وتحريفها ، والرؤيا الى المرأة، والى الجسد، وكأنه مستودع الأسرار والرغائب، الغوايات والافتتان والأحلام، صحيح أن ليس في لوحاتها مع المرأة، سوى مفردة أو مع نساء. الا انها تظهر بما لا يقبل الشك الأطياف الضوئية. للرجال، وزمن الانتظارات. وكل ما تفعله المرأة في انتظار الرجل، مما يدل على سوية الحياة والحب. ولشدة التصاقها بلوحاتها. كأنما تتوحد معها، وتتقمصها، وتصير كل امرأة، ذاتاً تمرئي ذاتها في مرايا تراثية، رافلة بالمسرات، والفرح، والغبطة والحبور، وكل المشتهيات والأطايب التي توفرها الحياة بين المحبين، وهذا ضمناً ما عزفت عليه كل الجماليات التي حشدتها في لوحاتها، وكل الفرش، والطنافس والزخارف، لكن علاقة المرأة بالنافذة، هي علاقة بالتوق الى الحرية، والعالم، والفضاء الاجتماعي والطبيعي، فالنافذة المشبكة بالحديد المزخرف، هي الرئة التي تتنفسها المرأة. أو تتنفس العالم من خلالها.

متكاملة المعنى والمبنى، والشكل..!.

وتجود الفنانة لوحتها وتجيدها، بكثير من التطريب والتشوق، إذ تدفع فيها بطاقة الأنوثة. وكأنها تطلب للمرأة التي تضفي الجماليات على الجماليات. الحرية التي تفتقدها، وتحاول وضعها في الحال الذي عليه أن تكون فاعلة. فالأجساد التي ترسمها تشحنها بالخصوبة والتروية. وهي بضة، وسمينة أحياناً. وتظهر فيها العافية، مما يدل على صواب رؤيا الفنانة الى المرأة، والى واقعها الداخلي، وكأن المرأة ومحيطها، فردوس حقيقي، يتوق أي إنسان الى التواجد فيه، والحياة داخله، رغم أن حديد النوافذ يوحي بالأسر والسجن والاستعباد بعض الشيء، لكن الجواءات الإنسانية تظل قائمة. وتفعل فعلها في حق هذه الكائنات الشفيفة الرهيفة. بالحرية والحب والحياة التي تليق بهن، كونهن يصنعن الحياة..!

وكل شيء في معرض الفنانة يثير شغف المشاهدة، لأنها هي الشغوفة التي تتدارس وتستقرىء هذه الجواءات الجمالية، الواقعية، وتتقن التبحر فيها، وتجعلنا نعيد تعمير ذاكرتنا، وإذكاء جذوة الحنين في نفوسنا إليها، وإذا كانت الفنانة تستعرض سيرة ذاتية خفية في لوحاتها، أو تتطلع الى خلق مواقف تعاطف وتعاضد مع المرأة وأحلامها، فانها نجحت في ذلك أيما نجاح. وأظنها مارست اختبارات وتجارب واكتسبت. دربة ومهارات ليست هينة. حتى وصلت لوحتها، التي لا تريد فيها التغريب. بل تريد التأسيس للوحة شرقية لها ميزاتها وخصوصياتها، وسماتها وأوشامها، وتكون حافلة بالتعابير والجماليات، التي تحتفي بالبصر وتتجاذبه، وتستكمل الحدس والذوق الفني، وتذهب في الإيحاء والدلالات كل مذهب، وهذا شأن الفنان، وشجنها الناعس الذي انطوت عليه في لوحاتها الزاهية الاحتفالية، بالأضواء والزخارف الرائعة التي تتناولها بحساسية. وشعور مرهف، وتتناوبها بين لوحة وأخرى، وكأنها تأخذها من جديد، لشدة الغريزة، المحمولة فيها، حتى لو كانت تتقابسها من المصنوعات الشعبية البسط والسجاجيد.

ان الأنوثة ورواياتها. بالغة ذروة الصخب اللوني. وتدرجاته وتناغماته. وموسيقاه وإيقاعاته سواء المعزوفة في الزخارف الشرقية. النباتية الحيوانية، والهندسية، أو على أجساد النساء المرسومة بالحالات الطبيعية. القراءة. الحمام، الجلوس الاستلقاء، وكثير من الحركات الطبيعية التي تتجالسها المرأة في البيت، وتتساكن اليها، وكأن المكان هو هاجس الفنانة. والمكان الداخلي على وجه الخصوص هو ما يستحوذها، وما اللوحات التي أطلت بها من النوافذ التراثية على مناظر الطبيعة، والرعاة، إلا رؤيا متواضعة، لا تعكس جماليات الرؤيا الداخلية، التي تنفذها عن طريق جسد المرأة المكسو والعاري. وهي تقرأ، أو تغزل، أو تتحدث مع قرينات لها، أو تستحم على برقان الحمام الخشبي، أو هي تشرب القهوة، وتبصر، أو وهي تنسج الصوف، هذا العالم الداخلي الذي صاغته على مقام الموسيقى الشرقية، وعلى سريرها، وفي أرباع الصوت، وأنصافه، وفي القرار والجواب والتناغمات والتطريبات، هو الذي حمل إلينا كل هذه العطور الشرقية الملونة بألف لوين ولوين، والمضيئة على وجه الخصوص.

– ٢ –

لا شك أن جاذبية العين والقلب. البصر والبصيرة. جاذبية الروح والجسد والذاكرة، هي ما تحتكم إليه الفنانة، في أعماله. خاصة لقدرتها التلوينية التي تعتمد الاشتقاق والكيماويات والألوان الحارة، جانب الألوان الباردة، وانتقاء الزخارف بحصافة. ومن الجو الشرقي هناك تأثرات بالفن الياباني والصيني ربما. لكن رؤاها الاشراقية، تستغرقها في التراث العربي الإسلامي، وربما في استيحاء أشكال الأشخاص التي رسمها الواسطي لمقامات الحريري واستشفافها لها، حين تطمس جسد المرأة العاري، دون تظليل، أو تجسيد، وكأنه في حال أيقونية. وله قداسة وغموض، ولا تريد استصراخه رغائبه، ووضعه في جهره، وخطابيته المباشرة، ولأن التجريد الزخرفي والجسد يمتزجان، يتوازنان وينسجمان في أعمالها، تبعاً للملوانة واليد التي تصيغهما، فان التعبيرية الانطباعية تقوى من خلال الرقش، والنقوس، ومن خلال الخط الأسود القوي والعريض بعض الشيء الذي يحيط رسوم كائناتها وتصاويرها. وكان بحاجة الى ترقيق وحساسية أكثر مما هو عليه، لأضفى على الرسوم نشاطاً وحيوية. وحركة. وجماليات. أكثر مما هي فيه في احتباسها الى حد ما داخله، أو داخل النوافذ الخشبية المفتوحة على لوحات. تتقطع من خلال قضبان الحديد أمام اللوحة. وتترك الجسد في حالات مقطعية، حيث يلملمه المشاهد بالإيحاء، لكنه يتقاراه ويتكاتبه في دخيلته، حتى يستوي في عينه على انه غير مهشم، وهو يكمن في لوحة داخلية

والطنافس، والأقمشة الزاهية المتموجة. إلا أنها تغسلها بمياه خيالها، وتهيم فيها حول كائناتها الأنثوية بحيث يصير ارتباطها بهذه الكائنات هو سر جمالها الغامر، الساحر والآسر معاً..!

ان زائر معرض منى طراد دبغي. لن يخرج سريعاً منه. بل سيظل يتجول ويحدق في اللوحات ويتأملها مرة اثر مرة، للإحاطة بحيثياتها وحدوثاتها، وتفاصيلها. ومجرياتها، وزخارفها، وتلك المنجزات أو التجهيزات في النوافذ التي تحتوي داخلها على لوحات أيضاً. تجعلنا الفنانة نتوهم أن كائنات في الداخل، أو امرأة عارية، لا بد وان نبصبص عليها، كما يحدث في الواقع، ولكن ولأنها لوحة جميلة بالتأكيد، فسترجع الذاكرة أصداء فعل الفضول، ومد النظر الى النوافذ، حيث النساء دائماً مكنونات رغبة ومشاهدة، وهكذا تنجح في هذه الانشاءات، كما تنجح في اللوحات، إذ جميعها تستوحي عناصرها من تراث بصري جمالي، حي وعريق، وفي صيرورة حياة، كما هو دائماً..!

والحق يقال، قليلاً إن لم يكن نادراً (سوى معارض الحروفية) ما نشاهد معرضاً يعتمد عناصر تراثية شرقية، بصرية وجمالية، كمعرض الفنانة، التي آثرت أن يكون مرايا لروحها الشرقية الجياشة. الحافلة بالمرئيات الرغيدة، والتي تنعش العين، وتسر النفس، وتعزف على أوتار الروح، وتستغرق بجماليات الأنوثة والحياة، وكأن الفنانة في ورشة فنية كاملة، خاصة لجهة تجهيزات النوافذ، وتركيب اللوحات داخلها، دون وضعها في أطر خاصة، انها تتنافذ وتتناضح فيها مع مشهديات الحياة، وتتواقت وتتواقع فيها، باحثة عن الحقيقة والهارموني، وعن جواهر الأشكال والألوان، فكائناتها عدا عن أنها واقعية، فهي حاملة تعابير وتأويلات وإيحاءات، وألوانها مؤنسنة وذات ألفة محببة، وملمس ريشتها على اللوحة ناعم ورقيق، وهي وان كانت بحاجة الى تدسيم الألوان في بعض اللوحات. إلا أن ذلك لم يحدث أي خلل في السيمفوني التي تؤلفها، وتولفها وتنتجها عبر معرضها، الذي يمتلك تواشجاً. وينبض بما فيه. بكل الحيوية، والحركة المطلوبة، في لوحة حديثة. تتطارح جماليات، من داخلها وليس من الخارج حيث الحلم الجميل ومديد..!

زهير غانم

- معرض الفنان منى طراد دبغي
- صالة ايبروف دارتيست
- ٢١ لوحة بالزيت، ونوافذ خشبية
- ٣/٧/ حتى ٢٠٠٠/٣/١٨

صحيفة اللواء